

م . الطيب بلحاج

مدخل لفهم دور المثقفين في الحركة

هب انسانا عشر على طريقة لتربية ابناءه تربية حسنة فان تلك الطريقة تنتقل الى جيرانه بصورة تلقائية ومن جيرانه تنتقل الى الذين يجاورونهم في احياء اخرى ، وهكذا حتى تصبح هذه الطريقة ظاهرة اجتماعية تتصل بوظيفة حيوية هي تربية الابناء واعدادهم لحياء اُسعد وارغد .

وهب مزارعا اكتشف آلة زراعية او طريقة في الزراعة تختزل الجهود وتضاعف المردود ، فان هذه الطريقة او تلك الالة تنتشر بنفس الصورة التي انتشرت بها الطريقة التربوية لتصبح ظاهرة ثقافية تتصل بحاجة من حاجات المجتمع الحيوية هي الحاجة الى الحصول على غذاء وفير بمجهود قليل .

وهب قوما سادت بينهم شريعة الغاب وسيطرت عليهم الانانيسة واستفحلت بينهم العداوة والبغضاء واستعبد غنيهم فقيرهم ، فسالت دماؤهم فيما بينهم ناراً وانتقاما وسلب قلوبهم ضعيفهم ما يملكه واذل السيد فيهم عبده وعامله معاملة السوائم ، فباتت العلاقات عداوة وبغضاء وبات المجتمع كله مفككا مهيدا بالفناء والدمار فظهر فيهم نبي يدعوهم الى تحرير العبيد وحفظ الجوار والتعاون فيما بينهم على ما فيه خيرهم وصلاح امرهم ، فلا شك ان دعوة هذا النبي تنتشر وتنتصر وان لافقت عراقيل وعقبات في اول امرها بحكم ان البقاء للصلح وان الزيد يذهب جفاء ولا يمكث في الارض الا ما ينفع الناس .

وهب شعبا استعمر من طرف شعب آخر وخضع له خضوعا تاما بفعل الخوف الذي سيطر على نفوس افراده والذي نسجه الوهم وضخمه فظهر اكثر مما هو عليه في الواقع فظهر من بين ابناء الشعب المقلوب طائفة ادركوا الحقيقة وتخلصوا من سيطرة الاوهام فدهسوا شعبيهم الى الثورة على العدو الكامن في نفسه ونعني به الخوف من المستعمرين لانهم بذلك يسيرون في الطريق الذي يحرقهم من مستعمرهم فلا شك ان دعوة هذا الفريق تنتصر وان لافقت في اول امرها عراقيل وعقبات .

والحقيقة اننا لو استنطقنا التاريخ في مختلف مراحلها وتقسينا الوقائع والاحداث بصورة علمية لوجدنا الكثير من الامثلة التي توضح

دور المثقفين في الحركة التي لم تنته بانتهاء القتال الى ما انتهى اليه موضوع الساعة في عالمنا العربي ، ذلك ان الاحداث التي جرت منذ السادس من شهر اكتوبر على الساحة العربية قد طرحت بصورة جديفة موضوع استخدام الطاقات العربية في الحركة وما نحسب طاقة المثقفين الا واحدة من الطاقات الهامة التي لم نحسن استخدامها حتى اليوم لاننا لم نخطط لاستخدامها ولم نوجهها توجيها يمكنها من ان تلعب دورها بفعالية وجدوى ، فما هو دور المثقفين في هذه الفترة التي تجتاز فيها القضية العربية ادق مراحلها ؟

لعل من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نحدد من هو المثقف الذي نعنيه ، وما هي الابعاد الجديدة للمعرفة كما نراها ، فتحددنا للمثقف ولصورة الحركة ضروري لفهم الدور الذي على العربي اليوم ان يلعبه .

الثقافة كما يعرفها لينتون هي « تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك يشترك في مكوناتها الجزئية افراد مجتمع معين ، وتنتقل عن طريق هؤلاء الافراد » .

والمثقف بهذا المعنى هو من يتقبل النمط السلوكي المكتسب لمجتمعه ، ويساهم في تكوينه ويقوم بنقله الى خلفه ونحن لا يعيننا من هذا التعريف الا الجزء الخاص بمساهمة الافراد في تكوين النمط الثقافي للمجتمع فما نوع هذه المساهمة وكيفيتها ؟.. وهل يتقبل المجتمع بسهولة مساهمات الافراد في تكوين نمطه الثقافي ؟ وما هي المساهمات التي تستطيع فرض نفسها وما هي التي تعجز عن ذلك ؟.. ان الاجابة على هذه الاسئلة تتطلب منا ضرب امثلة توضيحية تخرجنا من التجريد الى التجسيد ، وتلقي الاضواء الكاشفة على الطريقة التي يساهم بها الافراد في تكوين ثقافة المجتمع والتاثير في اتجاهاته الفكرية والعملية .

لنا كيفية مساهمة الافراد في تكوين الانماط الثقافية للمجتمع سواء فسدوا ذلك وارادوه او حدث صدفة دون ارادة وقصد .

ونحن انما يعيننا في حديثنا هذا المساهمات المرادة المقصودة لانها مساهمات المثقفين وحديثنا هذا عن المثقفين دن سواهم ، ونعنيهم بالمثقفين العلماء والمصلحين الاجتماعيين ، فليس مثقفا من اختزن علمه في صدره ولم يضعه في خدمة امته ومجتمعه ، كذلك لا يعتبر مثقفا من توفرت لديه النية الطيبة والقصد الحسن دون ان يكون له من علمه سلاح يقاوم به العراقل ويبدد به ظلمات الجهل والياس والقنوط .

المثقف هو من الم بالاسس الثقافية لامته وفرق بين الصالح منها والطالح ، وكان له بعضه معرفة تجعله قادرا على توجيه امته واكسابها المناعة والحصانة حتى لا تجرفها تيارات عصرها وتحطمها تحدياته .

والحقيقة ان دور المثقفين يتعاطف شأنه وينعقد كلما تقدمت الانسانية خطوة الى الامام ، فدور المثقف في عصر العلم والتكنولوجيا والذرة والايكترونيات ليس هو دوره في عصر الحراب السيوف وقوافل الابل والبغال ، دور المثقف في عصرنا هذا اصعب تحملا واكثر حيوية ، وتحديدته يتطلب تحديد طبيعة الحركة التي نخوضها والعدو السني نواجهه ، ومدى ما نملكه من امكانيات وطاقت المواجهة سواء في بلدنا او خارجها .

الشعب

٢١ تشرين الاول

لن يعود عصر الانحطاط

في غمرة الدم العربي المسفوح هدرنا في حرب الياام الستة الشميرة ، وتحت تأثير الصدمة التي زعزت ايمان الانسان العربي بنفسه وبقدرته على النهوض من كبوته ومواصلة قيامه بدوره في اثناء الحضارة الانسانية ، وبفعل الحرب النفسية المركزة التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية والامبريالية العالمة وساعدتها عليها دموع الضعفاء والانوزاميين من ابناء الامة العربية ، في غمرة ذلك كله خيم على سماء العرب ضباب من الياس كثيف ، وراح الكثيرون يتساءلون : هل هي عودة الى عصور الانحطاط ؟.. وهل انتهت اليقظة العربية الحديثة الى حيث بدأت ؟.. وهل هي لعنة السماء حلت بالانسان العربي فلا امل له في الخلاص منها لانها لعنة السماء ؟.. ومن بين اشلاء الضحايا ومن خلال دموع الارامل واليتامى ومن وراء الضباب الكثيف بدأ بصيص من نور ولاحت بقية من امل وايمان عبرت عنها القيادة الثورية على لسان الاخ الرئيس هوارى بومدين حين صرخ في وجوه اليانسين « اذا خسرنا معركة فاننا لم نخسر الحرب » نعم !..

اذا خسرنا معركة فان ذلك لا يعني اننا خسرنا الحرب ، وليست معركة الياام الستة غير معركة من حرب طويلة كان لا بد ان يخوضها الضعفاء للتخلص من قبضة الافواء ، حرب طويلة النفس متعددة الجوانب فهي حرب اقتصادية للتخلص من الاستغلال ، وهي حرب سياسية لاثبات الوجود وجمع الصف وتحديد الهدف ، وهي حرب عسكرية لتحرير

الاجزاء التي ما زالت تخضع للسيطرة المباشرة الاستعمارية والعنصرية . .
نعم ليست معركة الياام الستة حربا وليست الهزيمة التي حلت بالعرب فيها توفقا بن المسير او عودة الى الوراء الى عصر الانحطاط بل هي في حقيقتها هزيمة لاسرائيل لانها فتحت اعين ضعفاء العالم على حقيقتها باعتبارها كيانا عنصريا قائما على العدوان ووجها قبيحا للاستعمار الاستيطاني في ايشع صوره واقبح اشكاله ، ورأس جسر للاستعمار الحديث تبشر بعاليه وفناعا يخفي به وجهه حتى لا يتكشف امره وتتضائل فرص نجاحه ، هكذا بدأت اسرائيل للافارسة وغيرهم مسن الاحرار في العالم خصوصا بعد هجوماتها السفارة على البلدان العربية وقتلها للابرياء لا نميز في ذلك بين الصغير والكبير والمرأة والرجل والطفل الرضيع والشيخ الواهن القوي الطامن في السن ، ولم تكف اسرائيل بهذا بل انها دأبت على مواجهة دعوات السلام العربية بقنابل الدمار والقتل والخراب ، ولم يكن بالوسع ان يستمر هذا الوضع طويلا بدون رد فعل يردع المعتدي ويوقف تيسار العدوان ، فالعدوان وضع غير طبيعي والمعتدي عضو شاذ غريب في جسم العالم يستحيل تقبله في الحضيرة الانسانية ، وهكذا رأينا العالم الحر بعد ما رأى من طفيان الصهاينة وصلفهم وغرورهم وتماديهم في تحدي حقوق الانسان ، وعندما عرف من طبيعتهم العدوانية ، يجنح الى عزلهم عن الحضيرة الانسانية ، فأخذت الدول الافريقية تستغني عن موانئهم السدمومة وتقطع معهم علاقاتها مكبدة اياهم بذلك خسائر معنوية لم يتكبدوها منذ وجودهم .

وهكذا ادركت اسرائيل ومن ورائها الامبريالية الامريكية ان الوجود الاسرائيلي هو بطبيعته وجود عسكري ، ومن ثم وضعت امريكا اصابعها في آذانها ، فلم تعد تسمع دعوات الاستسلام العربي التي تصاعدت في وقت من الاوقات تبارك الامر الواقع وتساوم على الاراضي العربية المحتلة وعلى حقوق شعب فلسطين في استعادة حقوقه المشروعة في الحرية والحياة .

وصممت صمنا طويلا فلم تتقدم بمشاريع سلام ومدت بينها وبين اسرائيل جسورا تمدها من خلالها بأحدث اسلحة التدمير ، ووصل الياس العربي حده الاقصى وفقد الانسان العربي ثقته بنفسه وبقدرته على الحرب والقتال الا انه ظل من خلال المقاومة الفلسطينية وتصميم بعض الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر على القتال باعتباره اللغة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل وحلفاؤها من الامبرياليين ، قلت ظل الانسان العربي من خلال هذين العاملين يحتفظ ببقية من امل ويحافظ على بقية من حياة تدفقت في شرايينه قوية هادئة عندما عبرت قوات جمهورية مصر العربية قناة السويس لتبدأ مسيرة الكفاح واضعة نصب أعينها حقيقة واحدة هي النصر او الاستشهاد ، لقد عبرنا قناة الياس ونحن نعبق قناة السويس ، وتجاوزنا واقفنا الانهزامي الياس ونحن نتجاوز خطوط العدو وتحصيناته ، ودمرنا بقايا عصور الانحطاط في انفسنا وعقولنا ونحن نمر خط بارليف ، ومنذ اليوم فلا هزيمة ولا تراجع بل تقدم وانتصار ، تقدم سنضعه بقوة انفسنا ، ونصر سنحرزه بحبنا للاستشهاد ورفضنا للاستعباد .

واذا كانت الامبريالية الامريكية قد ادركت هذه الحقيقة فاعدت عدتها الدبلوماسية والمادية لتقاتلنا دفاعا عن مصالحها وراحت قنابل اسطولها السادس وطائراته تقتل الابرياء في المدن والقرى فان ذلك كله لن يوقف الزحف العربي ولن يحول بينه وبين تحقيق اهدافه .
لقد تجاوز الانسان العربي هزيمته فلن يعود عصر الانحطاط .

الشعب

١٦ تشرين الاول